ضحايا الحب

الشيخ الدكتور عائض بن عبدالله القرني

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسـلام على رسـول الله وعلى آله ومن والاه وبعد :
فيظن بعض النــاس أن أصــحاب الشــريعة وأبنــاء الملة لا يعرفـون الحب ، ولا يقدرونه حق قـدره ، ولا يـدرون ما هو ، والحقيقة أن هذا وهم وجهل ، بل الحب العامر أنشودة عذبة في أفواه الصـادقين ، وقصـيدة جميلة في ديـوان المحـبين ، ولكنه حب شـــريف عفيف ، كتبه الصــــالحون بــــدموعهم ، وسـطره الأبـرار بـدمائهم ، فأصـبحت أسـماؤهم في سـجل الخلود معالم للفداء والتضحية والبسالة . وقصـدت من هـذه الرسـالة الوقف مع القـارئ على جـوانب مشـرقة ، وأطلال موحشة في مسيرة الحب الطويلة ، التي بدأها الإنسـان في حيــاة الكبد والنكد ، ليســمو إلى حيــاة الجمــال والجلال والكمــــال ، وســـوف يمر بك ذكر لضــــحايا الحب وقتلاه ، وستعرف المقصود مما أردت إذا قرأت ، وتعلم ما نـويت إذا طالعت .
والله وحده نسأل أن يجعلنا من أحبابه ، والشهداء في سبيله .

الحب

الحب ماء الحياة ،وغذاء الروح ، وقوت النفس .
تعكف الناقة على حوارها بــالحب ، ويرضع الطفل ثــدي أمه بالحب وتبني الحمرة عشها بالحب ، بالحب تشرق الوجــوه ، وتبتسم الشـفاه ، وتتـألق العيـون . الحب قـاض في محكمة الدنيا ، يحكم للأحباب ولو جار ، ويفصل في القضايا لمصلحة المحبين ولو ظلم ، بالحب وحده تقع جماجم المحاربين على الأرض كأنها الدنانير ،لأنهم أحبوا مبـدأهم ، وتسـيل نفوسـهم على شـــفرات الســيوف ، لأنهم أحبـــوا رســالتهم ، أحب الصــحابة والمنهج وصــاحبه ، والرســالة وحاملها ، والــوحي ومنزله ، فتقطعوا على رؤوس الرماح طلبا للرضا في بــدر ، وأحد ، وحنين ، وهجروا الطعام ، والشراب ، والشـهوات في هواجر مكة ، والمدينة ، وتجافوا عن المضاجع في ثلث الليل الغابر ، وأنفقوا طلبا لمرضاة الحبيب .
بالحب صاح حرام بن ملحـان مقتـولا : فـزت ورب الكعبة !، بالحب نادى عمير بن الحمام إلى الجنة مستعجلا : إنها لحياة طويلة إذ بقيت حتى آكل هذه التمرات ! ، بالحب صــرخ عبد الله بن عمرو الأنصاري : اللهم خذ من دمي هذا اليـوم حـتى ترضى !. لما أحب الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ صارت له بــردا وســلاما ، ولما أحب الكليم موسى ـــ عليه الســلام ـــ انفلق له البحر ، ولما أحب خــاتمهم حن له الجــذع ، وانشق له القمر .
المحب عذبه عذاب ، واستشهاده شهد لأنه محب .

أحبك لا تسأل لماذا لأنني *** أحبك هذا الحب رأيي ومذهبي

بالحب يثور النائم من لحافه الدافئ ، وفراشه الوثـير لصــلاة الفجر ، بالحب يتقدم المبـارز إلى المـوت مسـتثقلا الحيـاة ، بــالحب تـدمع العين ، ويحـزن القلب ، ولا يقـال إلا ما يرضي

الرب ، الحب كالكهرباء في التيار يلمس الأسلاك فإذا النور ، ويصل الأجسام فإذا الدفء ، ويباشر المـادة فـإذا الإشـعاع ، الحب كالجاذبية به يتحــرك الفلك ، وتتصــاحب الكــواكب ، وتتآلف المجموعة الشمسية ، فلا يقع بينهما خصام ولا قتـال ، بـالحب تتـآخى الشـموس في المجـرة ، فلا صـدام هنـاك ، ويــوم ينتهي الحب يقع الهجر والقطيعة في العـالم ، وســوء الظن والريبة في الأنفس ، والانقباض والعبوس في الوجــوه ، يـــوم ينتهي الحب لا يفهم الطـــالب كلام معلمه العــــربي المبين ، ولا تذعن المرأة لزوجها ولو سألها شربت مــاء ، ولا يحنو الأب على ابنه ولو كـان في شــدق الأسد ، يــوم ينتهي الحب تهجر النحلة الزهر ، والعصــفور الـــروض ، والحمـــام الغدير ، يوم ينتهي الحب تقوم الحـروب ، ويشـتعل القتـال ، وتدمر القلاع ، وتدك الحصـون ، وتـذهب الأنفس والأمـوال ، ويوم ينتهي الحب تصبح الدنيا قاعا صفصفاً ، والوثائق صحفا فارغة ، والـبراهين أسـاطير ، والمثل ترهـات ! . لا حيـاة إلا بالحب ، ولا عيش إلا بـالحب ، لا بقـاء إلا بـالحب ، إذا أحببت شـــــممت عطر الزهر ، ولمست لين الحرير ، وذقت حلاوة العسل ، ووجـدت بـرد العافية ، وحصـلت أشـرف العلـوم ، وعرفت أسرار الأشياء .

وإذا كـرهت صـارت كل كلمة عنـدك جارحة ، وكل تصـرف مشبوها ، وكل حركة مشـكوك فيها ، وكل إحسـان إسـاءة .

المحب هجــره وصــال ، وغضــبه رضا ، وخطيئته إحســان ، وخطؤه صواب .

ويقبح من سواك الفعل عندي *** وتفعله فيحسن منك ذاكا !

الحب حبان : حب ارضي طيني سفلي إنما هو هيام وغـرام ، وحب علــوي ســماوي إلهي ، وهو طاعة وعبــادة وشــهادة وسيادة .

فحب الأرض للعيون السود والخـدود والقـدود ، ووادي الغضا ، وأهل البان ، وذكريات سلمى ، وأيام ليلى .

وحب الإله تعلق بشــرعه ، وانقيــاد لأمــره ، وامتثــال لدينه ، وتقرب منه .
حب الطين آهات وزفرات وحسرات وندامات .
وحب رب العـــالمين علو ورفع وكرامة وســـلامة وســـعادة وريــادة ، كيف لا تحب الله وما من نعمة عليك إلا هو منعمها ، ولا بلية إلا هو صرفها؟ ! هو المحسن وحده _ جل في علاه _ .، فقضاؤه عـدل ، وشـرعه رحمة ، وخلقه جميل ، وصـنعه حكيم ، وفضـــله واسع ، ووصـــفه حسن ، فلا عيب في شئ من صفاته ، بل الكمـال كله فيها ، ولا نقص في تـدبيره ، بل الحكمة أجمعها فيه ، ولا خلل في صـــــنعه ، بل الحسن أوله وآخــره فيه ، فحبه واجب ، والتقــرب منه فريضة ، وشــكره حتم ، وطاعته لازمة .
أما الحب سواه فمنافع متبادلة ، وأهواء مشتركة ، وأغراض مادية ، يشـوبه الخلل والزلل والإسـراف وعـدم الاسـتقرار ، مع ما يعقبه من أسف وندامة وحسرة .
ولا أحد في الكــون يســكن له العبد ، ويتوكل عليه إلا الواحد الأحد ، ولـــذلك ســـمى نفسه (الله) ،. قيل هو الـــذي تأله النفوس إليه ،. وتسكن إليه في علاه .

الحب للرحمن جل جـلاله *** وهو مستحق الحب والأشواق
فأصرفه للملك الجليل ولذبه *** من كل ما تخشاه من إرهاق

ما الحب ؟

لا أعلم كلمة في قاموس العربية تعبر عن الحب مثل كلمة (الحب) ، فليس هناك أصدق من (الحاء والباء) في دلالتهما على هـذا المقصـود العظيم ، فالحـاء تفتح الفم فيبقي فارغا حتى تأتي الباء فيضم الفم وتطبق الشفتان ، إذا هنا اجتمــاع بعد فرقة بعد هجر !.
وكلمة (حب) كلمة عامرة ، لها أنداء وأفياء وظلال وأبعاد ، وهي كلمة مؤنسة مشـجية منعشة مشـوقة ، بل هي معجبة

مطربة مغرية ، لكنها ذائعة شــائعة ، غــير أنها خفيفة لطيفة شريفة وفيها نضارة .
كلمة (حب) عـــالم من المـــودة والصـــلة والأنس والرضى والراحة ، وهي دنيا الأمل والفــأل الحسن ، والأمس الجميل واليوم الحافل ، والغد الواعد .
إنها رحلة في عـالم التـآلف والتـآخي ، والتفـاهم والتكـاتف ، والتضامن والتعاون ، في كلمة (حب) بسـمة وضـمة ولهفة واشتياق ولوعة ! .
إذا قلت : (حب) تـــداعت الـــذكريات القديمة ، وثـــارت المعاني الجميلة ، وحضرت المواقف المشـجية ، واسـتعادت النفس شبابها ، والقلب أمله ، والـروح إشـراقها ، والمجلس بهجته ، والحضور أنسه .
إذا قلت : (حب) ســـافرت بك قافلة الـــذكرى إلى صـــور ومشــاهد لا تمحى من ذاكــرة الــزمن ، فعرضت لك الطفل يضم الثدي ، والناقة تحنو على الفصيل ، والآكام تلف الثمــار ، والأغصان تعانق الجـذوع ، والفراشة تلثم الزهـرة ، والعش يكتنف الطـــائر ، فما احسن كلمة (حب) وما أبـــدعها وما أروعها .
الحب حرفان حاء وبعدهـا باء *** تذوب عند معـانيها الأحباء !

إذا قلت (حب) هل غيث الرجــــاء ، وهبت ريح الصـــفاء ، وســرى نسـيم الوفـاء ، وتهللت أسـارير الوجـوه ، وانبلجت معالم الطلعات ، وأشرقت شموس الأيام ، وإذا قلت (حب) امتلأت الجـوانح بالأشـواق ، والحشـايا بـالتلهف ، والضـمائر بصور الأحباب ، ومعاهد الأصحاب ، ومغاني الأتراب .
إذا قلت: (حب) تساقطت أوراق البغضاء ، وتلاشت نزعات الشر ، وارتحلت قطعــان الضـغينة ، وفــزت زمر الأحقــاد ، وغربت نجوم العداوات .
كلمة (حب) ســماء شمســها اللقــاء ، وقمرها العنــاق ، ونجومها الذكريات ، وسحبها الدموع . كلمة (حب) إشـراقة

من عالم الملكوت ، وإطلالة من ديـوان الخلـود ، ووقفة في بسـاط العظمة . من اسـتظل بسـمائها اتقد شـوقه وتـدافع خاطره .

وأما تعريف كلمة (الحب) فخــذه نظما ولا تخش ظلما ولا هضما :

الحب بسمـة عاشق ولو أنها *** سفرت لغار البدر من إطلالها !

وقيل :

الحب أكبادنا تشوى وأعيننا *** تكوى ، وأعمارنا تطوى على الأمل

وقيل :

إذا قلت هذا الحب بعد ولوعة *** وفرقة أصحاب وهجر أقارب

فما الحب إلا الأنس والقرب والرضى *** فدعني فهذا الحكم بعد التجارب

وقيل :

الحب كالسحر إلا أن رقيته *** شهادة لا يذوق الموت لاقيها

وقيل :

الحب ليس رواية شرقية *** بأريجها يتزوج الأبطال

لكنه الإبحار دون سفينة *** ومرادنا أن الوصول محال

وقيل :

لعلك يا محب ظننت ظنا *** بأن الحب جمع وافتراق

أجل هو جمع أوصال تداعت *** وفرقة مهجة ، ودم يراق !

وقيل : الحب قصة طويلة فصولها الشهداء .

وقيل : الحب سر لا يعرفه المحبون .

وقيل : الحب ليس له تعريف إلا الحب .

أسئلة في الحب

السؤال الأول :

سألت إمام الحي عن حكم عاشق *** إذا أزداد حبا صار من شوقه صبا

أيجزئه ذكر ورد تحية *** وشهقة شوق كالنسيم إذا هبا ؟ !

فقال : عليه النحر يوم لقائه *** بمحبوبه حتى يزيل به الذنبا !

السؤال الثاني :

سألنا أبا حمدان عن حكم صاحب *** أحب فأهدى الروح خلا بلا ثمن

أيحرم هذا البيع والشرط باطل *** أليس يقال المرء حقا إذا غبن

فقال معاذ الله بل صح بيعه *** وهذا الذي نفتي به سائر الزمن

السؤال الثالث :

سألت حماد عن صب جرى دمه *** من أجل أحبابه ماذا نقول له ؟

فقال : قولوا له يفدي بمهجته *** إما سواه على عمد نقول لهوا

المتنبي مفتيا :

يقول أبو الطيب :

قفي واغرمي الأولي من اللحظ مهجتي *** بثنائه والملتف الشيء غارمه

صحوة من سكار الحب

ومن المحـــبين من هجر الحب المحـــرم واتصل بــالحب الشــرعي الطـاهر العفيف ، فأنتقل من عـالم الـزور ، ودنيا الهيـام ، وظلام الغـرام ، ومقـام الآثـام ، إلى جنة الصـدق ، وروضة المعرفة ، وبستان اليقين ، وباحة الإيمان : فهـذا ابن أبي مرثد هـام ـ قبل أن يسـلم ــ بفتـاة وعشـقها وسـكب عمــره في كـأس هواها ، وأفــرغ روحه في كــوب نجواها ، وفرغ شبابه على تـراب مغناها ، فلما هـداه الله وغسل قلبه من أدران الهوان وأوصار المعصية ، أفاق ـ والله ـ من رقـده الغفلة ، ومن سنة الجهالة ، ومن سـكرة الغي ، على صـوت بلال ، فـارتجف جسـمه ، وتهـذبت روحه ، وأعلن في إبـاء ، وصــــاح في اســـتعلاء : أتــــوب إليك يا رب ، وأقبل على المصحف ، وهب إلى المسجد ، واستعان بالصـبر والصـلاة ، وأدمن الذكر ، وسجل رائعته في ديوان الخلود وسفر النجـاة ودفتر المجد :

أأبقى غويا في الضلالة ساردا *** كفي بالمرء بالإسلام والشيب ناهيا

وهـذا لبيد بن ربيعة الشـاعر المشـهور ، هـام بـالغزل ومـات بالمقل ، وانغمس في الشــــعر وحــــده ، يعيش للقافية ، ويضـحي للقصـيدة ، ولكنه عــرف الله عن طريق الصــادق الأمين صلى الله عليه وسلم ، فتاب من حياة العبث والضياع ، ورجع إلى المحراب ، وأقبل على التلاوة ، وأنشد :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي *** **حتى اكتسب من الإسلام سربالا**

ونذر لله لا ينظم ولو بيتا واحد ، فإن فعل أعتق رقبة ، وقـال : كفتني سورة البقرة عن الشعر

وهــذا إبــراهيم بن أدهم عاشق الملك ، وهــاوي الإمــارة ، والمولود في الرئاسة ، فكر ذات يـوم فقـال : كـان أجـدادي

وآبـائي ملوكا فـأين هم الآن ؟ هل تحس منهم أحد أو تسـمع لهم ركزا ؟!، وتذكر قول الشاعر :

وسلاطينهم سل الطين عنهم *** والرؤوس العظام صارت عظاما !

فـأعلن توبته ، وفر من قصـره ، وخلع ثيـاب الملك ، وهـرب من الـترف والجـاه والنعيم إلى قـرة وراحة الأرواح ، فكـان يسكن الخراب ، ويمرغ أنفه بالتراب ، ويأكل الشعير ، وينـام على الرصــيف ، ويقــول نحن في عيش لو علم به الملــوك لقاتلونا عليه بالسيوف :

أمطري لؤلؤا سماء سرنديب *** وفيضي آبار تكريت تبرا

أنا إن عشت لست أعدم خبزا *** وإذا مت لست اعدم قبرا !

وهذا عمر ابن عبد العزيز ابن النعمة والحشمة ، وارث الدور والقصـور ، أرغد النـاس في شـبابه عيشا ، وأكـثرهم ترفا ، وأزكـــاهم عطـــرا ، لكن نفسه تـــاقت إلى الجنة فزهد في الفاني ، ورغب في الباقي ، واقبل على الله تعالى ، وصــدق مع ربه فعدل في الرعية ، وأخلص في العبودية ، وقـاد الأمة الإسلامية خير قيادة ، مع ورع متين ، وعلم راسخ ، وخشــوع صادق :

جزاك ربي عن الإسلام مكرمة *** وزادك الله من أفضاله كرما

برقيات إلى الأحبة

الحب على المحـبين فـرض ، وبه قـامت السـماوات والأرض ولم يدخل جنة الحب ، لن ينال القرب ، بـالحب عبد الـرب ، وترك الذنب ، وهـان الخطب واحتمل الكـرب ، عقل بلا حب لا يفكر ، وعين بلا حب لا تبصر ، وســـماء بلا حب لا تمطر ، وروض بلا حب لا يزهر ، وسفينة بلا حب لا تبحر .

بـالحب تتـآلف المجـرة ، وبـالحب تـدوم المسـرة ، بـالحب ترتسم على الثغر البســـمة ، وتنطلق من الفجر النســـمة ، وتشــدو الطيــور بالنغمة ، أرض بلا حب صــحراء ، حديقة بلا حب جرداء ، ومقلة بلا حب عمياء ، وأذن بلا حب صماء !

الحب هو بساط القربى بين الأحباب وهو سـياج المـودة بين الأصحاب :

شكا ألم الفراق الناس قبلي *** وروع بالنوى حي وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعي *** فأني ما سمعت ولا رأيت !!

بالحب ترضع الأم وليدها ، وتروم الناقة وحيدها ، بـالحب يقع الوفاق ، وبالحب يعم السلام ، والمودة والوئام .

بــالحب يفهم الطلاب كلام المعلم ، وبــالحب يســير الجيش وراء القائد ويتقدم ، وبالحب تذعن الرعية ، ويعمل بالأحكـام الشرعية ، وتصان الحرمات ، وتقدس القربات .

بيت لا يقـــوم على الحب مهـــدوم ، وجيش لا يحمل الحب مهـزوم ، لكن أعظم الحب وأجله ما جـاءت به الملة ، أجمل كلمة في الحب قول الـرب : (يحبهم ويحبونـه) . فلا تطلب حبا دونه

ليس حبا قطعة معزوفة *** من يراع الشاعر المتنحب
ما (قفا نبكي) هو الحب ولا *** ظبية البان وذكرى زينب
إنما الحب دم تتزفــه *** في سبيل الله خير القرب
أو دمـوع ثرة تبعثهـا *** سحرا أصدق من قلب الصبي
أو سجـود خاشع ترسمـه *** فوق الطين فاسجد واقرب

أحب امــرؤ القيس فتــاة ، وأحب أبو جهل العــزى ومنــاة ، وأحب قــارون الــذهب ، وأحب الرئاسة أبو لهب ، فأفلســوا جميعا ! ، لأنهم أخطـؤوا خطا شـنيعا . أما حب بلال بن ربـاح فهو البر والصلاح ؛ سحب على الرمضاء ، فنـادى رب الأرض والســــــماء ، وانبعث من قلبه (أحد أحد) ، لأن في القلب إيمانا كجبل أحد

إذا كان حب الهائمين من الورى
بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا
فماذا عسى أن يصنع الهائم الذي
سرى قلبه شوقا إلى العالم الأعلى ؟!

الحب لا يعترف بالألوان ولا بالأوطان ، والدليل بلال وسلمان ؛ بلال أبيض القلب أسود البشرة ، فصار بالحب مع الــبررة ، وأبو لهب بالبغض ليس من أهل البيت ، وسلمان نال بـالحب جائزة : (سلمان من أهل البيت !) .

دعني من حب مجنـون ليلى ، ومحبـوب سـلمى ، ومعشـوق عفـــرا ، فلطالما لطخت بأشـــعارهم الطـــروس ، وضـــاقت بأخبــارهم النفــوس ، وخــدعت بقصــائدهم الأجيــال واتبعهم الضلال ، وحدثني عن أنباء الأنبياء ، وهم من أجل حب الــرب يهجرونه الأباء والأبنــاء ؛ فــإبراهيم يتــبرأ من أبيه ، ونــوح من بنيه ، وامرأة فرعـون تلغي بنفسـها عقد النكـاح ؛ لأن البقـاء مع الكافر سفاح .

هذا هو عــالم الحب بتضـحياته ، بأفراحه وأتراحه ، وهو حب يصلك برضوان من رضاه مطلب ، وعفوه مكسب .

والله ما نظرت عيني لغيركم
يا واهب الحب والأشواق والمهج
كل الذين رووا في الحب ملحمة
في آخر الصف أو في أسفل الدرج !

امرؤ القيس يصيح في نجد وقد غلبه الوجد ، (قفا نبك)،

فإذا بكـاؤه على الأطلال ، وإذا دموعه تسـفح على الرمـال ، وإنه هيام العقل بلا وازع ، وحيرة الإنسان بلا رادع ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم يـذوق الـويلات ، ويعيش النكبـات ، ثم ينادي مولاه في مناجاة وإخبات ، ويقول : " لك العتبى حـتى ترضى " !.

لا تضع عمـري بشـعر طرفة العبد وهو يشـكو الحب والصد ، حب ماذا يا هذا ؟ !. . أما علمت أن أحد الأنصار ، كـان يقـرأ (قل هو الله أحد) بتكرار ، فسئل عن المقصود ، قال : لأن فيها مـــدح المعبــود ، وأنا أحب تلك البنــود ، فــدخل الجنة بالمحبة ، لأن الله احبه ...

دعني أمسح فوق الروض أجفاني
فالنار موقدة من حر أشجاني
نسيت في حبكم أهلي ومنتجعي
فحبكم عن جميع الناس ألهاني !

شغلونا بالروايات الشـرقية والمسـرحيات الغربية ، ويل هـذا الجيل ويله !.. ســـهر مع غراميـــات ألف ليلة وليلة ، وفي الــذكر المــنزل والحــديث المبجل قصص الحب الصــادقة ، والمعاني الناطقة ، ما يخلب اللب ، ويستميل القلب .

أخرجونا يا قــوم من ظلمـات عشق الأعـراب ، والهيـام في الأهداب ، فكل ما فوق التراب تراب ، الذي تطـير له الأرواح ، وتهتز له الأشباح ، في ملكـوت الخلـود ، وعلى بسـاط رب الوجود .

بكت عيني غداة البين دمعا
وأخرى بالبكا بخلت علينا
فعاقبت التي بالدمع ضنت
بأن أغمضتها يوم التقينا

دع حب هــؤلاء فــإنهم مرضى ، وتعــال إلى الواحد ونــاد : (عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى)

فأَمَّا الَّذِينَ آمَنُــوا فَيَعْلَمُــونَ أَنَّهُ الْحَــقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً)

في حالة البعد نفسي كنت أرسلها *** تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت *** فامدد يمينك كي تحظي بها شفتي

حمـزة سـيد الشـهداء يمـزق بـالحب تمزيقـاً، وأنتم تهيمـون بروايــات غرامية لفقت ، نقــول حــدثونا عن الحب عند ابن عبـاس ، فتـذكرون لنا عشق أبي نـواس! كفي جفـاء ، فأما الزبد فيذهب جفاء!!

حب طلحة والزبــير أعظم من شكســبير؛ لأن حبهم سطر في (بدر) لمرضاة القوي العزيز، وحب شكســبير كتب في شوارع لندن لمراهقي الإنجليز.

إن كنت يا شاعر الغرب كتبت رواية الحب بالحبر، فالصحابة سجلوا قصص المحبة بدم الصبر.

ومن عجب أني أحن إليـهم *** فأسال عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادهـا *** ويشتاقهم قلبي وهم بين ضلوعي

لا تدري ربما عذبت بحيك، وكنت عنك عند ربـك(هـذا فـراق بيني وبينك)! ونحن نسمع من أجل امرأة بكاءك وأنينك.

ولما جعلت الحب خدنا وصاحباً *** تركت الهوي والعشق ينتحبان
فلا تسمعني(شكسبير) ولهوه *** ورنة عود أو غناء غواني
فلي في رحاب الله ملك ودولة *** أظن الضحي والليل قد حسداني!

كلما خرج علينا شاعر مخمور، فاقد الشعور ، حفظنا شـعره في الصـدور ، وكتبنـاه في السـطور ، وقلنـا: يا عـالم هـذه قصصـنا الغراميـة، ونسـينا رسـائلنا الإسـلامية ، وفتوحاتنا السماوية ، التي أهلت الإنسانية.
علمني الحب من سورة الرحمن، ولا تكدر خاطري بهيام (يا ظبية البـــان) ، أنا ما أحب لغة العيـــون، ولكن أحب لغة القلوب، ولا أتبع فلتـات أبي نـواس والمجنـون ، ولكـني أرتع في رياض الكتاب المكنون)وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ).

ومعنفي في الحب قلت له: أتئد *** فالدمع دمعي والعيون عيوني

الحب الصـادق في جامعة (إن المسـلمين والمسـلمات)، والغرام الرخيص في مسـرح الفنـانين والفنانـات. اسـتعرض نصـوص الحب في وثيقة الـوحي المقـدس، لـتري فيها حيـاة الأنفس، فالحب السـماوي يـدعو العبد إلي حيـاة مسـتقيمة، ليجد فضل الله ونعيمه، أما الحب الأرضي فإنه يقتل الإنسان ويجعله بلا قيمة.

أرق علي أرق ومثلي يأرق *** وجوي يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة أن تكون كما أري *** عينا مسهدة وقلباً يخفق

حب العز عند فرعون ، وحب الكـنز قـارون، أما حب الجنة ، فعند أبطال السنة، الذين حصلوا علي اعظم منـة. الجعد بن درهم ذبح علي الابتـداع، وأنت تبخل بدمعة في محـراب الاتباع.
أتريد من الجيل أن يحب الملك العلام، ويصلي خلف الإمـام، ويحافظ علي تكبيرة الإحرام، وأنت تحفظه رباعيات الخيـام، ليبلغهم رسـالة لا بعث ولا نشـور؟ أعـوذ بالله من تلك القشـور!.. يا حـاج ..! أين حملة المنهـاج؟ وأنت من أحـرص الناس علي حياة ، فبماذا تدخل الجنة يا أخاه؟!
من تداجي يا إبراهيم ناجي، ومن تكلم ومن تناجي؟ تقول: يا فـوادي رحم الله الهـوي، بل قتل الله الهـوي!.. من يشـارك في ثورة الخبز، لا يحضر معركة العز ، لما نسـيت الأمة حب

القلوب، واشـتغلت بحب البطـون، رضـيت بالـدون، وعاشت في هون.
)وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .
هل عند الأمة فراغ في الأزمان ، تسمع صوت الحرمان، وهو ينادي:

باد هواك صبرت أم لم تصبــروا *** وبكاك إذ لم يجر دعك أو جري

نحن بحاجة إلي صــوت خــبيب بن عــدي وهو يلقي قصــيدة الفداء، علي خشبة الفناء، في إصرار وإباء ، وصبر ومضاء:

ولست أبالي حين أقتل مسلمـــــاً *** علي أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشـــأ *** يبارك علي أشلاء شلو ممزع

بارك الله فيك وفي أشلائك يا خبيب ،فأنت إلي قلوبنا حبيب:) وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَــدُّ حُبّـاً لِلَّه) اللهم اجعلنا ممن يحبك ويحب من يحبك، ليؤنسنا قربك، اللهم ازرع شجرة حبك في قلوبنا، لنري النور في دروبنا، وننجو من ذنوبنا ، ونطهر من عيوبنا.

أحبك حباً ليس فيه غضاضــة *** وبعض مودات الرجال سراب
وأمحضتك الحب الصحيح وفي الحشا *** لودك نقس ظاهر وكــتاب
إذا صح منك الود فالكل هين *** وكل الذي فوق التراب تراب

وإن تعجب فعجب أن تري شاعراً بائساً ، يشكو طللاً دراساً ، فهو يبكي من نار الغرام ، ويشكو ألم الهيـام، ولو سـافرت روحه في عــالم الملكــوت ، لصــار حبه عنــده كــالقوت. ولو أدرك عنـترة الإسـلام ما كبـا، وما قـال: اذكـري يا عبل أيـام الصبا.

جرير يشكو العيون السود، وبشار يشكو الصدود ، والشريف الرضي يشكو فتنة الخدود، وكأن الحياة لديهم اختصـرت في امرأة حسناء، ووكأن العمر يتسع لهذا الهـراء، ويحسـبون أن الناس من أجلهم تركوا المنام، وهجـروا الطعـام..إذا افتخرنا علي الغرب بأن لدينا نساء حسناوات، وفتيات فاتنات ، قالوا لنــا: عنــدنا في ذلك مســارح ومســرحيات، ومغــامرات وغراميــات، لكن فخرنا علي النــاس أن لــدينا رســالة ملأت الكون نوراً، والعالم حبوراً، والدنيا طهوراً.

نحن الذين ملأنا جــونا كرمـــاً *** وقد بعثنا علي قرآننا أممـا
والعــالم الآخــر المشبوه في ظلم *** من يعبد الجنس أو من يعبد الصنما

قتيلان لا يستويان

ذكر أهل السـير أن سـيداً بـاع جارية له وكـان له غلام يحبها حبـاً شــديداً ، فلما ذهب البــائع بالجارية رمي الغلام بنفسه من علي سطح بيت عال فوقع ميتاً! وقد قال بعض هؤلاء:

والله لو قطعـــوا رأسي لأتركها *** لما نحو هواها في الهوى رأسي!

قـــارن بين ما ســـبق وما رواه ابن حبـــان ، والغـــزالي في (الإحيــاء) في كتــاب الســماع من أن غلامــاً كـان في بــني إسـرائيل علي جبل فقـال لأمـه: من خلق السـماء؟ قـالت : الله عز وجل ، قال فمن خلق الأرض؟ قـالت الله عز وجـل، قـــال: من خلق الجبالظ قـــالت: الله عز وجل ، قـــال: فمن خلق السـحاب؟ قـالت: الله عز وجـل، قـال : إن هـذا الـرب عظيم، ثم رني بنفسه من الجبل فتقطـع، وإنا وإن كنا لا نقر هذا العمل، لكن أنظر كم هو الفرق بين من جعل حياته فداء لجارية ومن ضحي بروحه من أجل ربه.

ذبت فداها

أما عاشق آخر فيخبرنا بإلحاح ويعلن للملأ أنه قد امتلأ غراماً وعشقاً حتى النخاع ، يقول:

أخـبروهـا إذا أتيتم حـمـاها *** أنني ذبت في الغرام فداها

فإذا أخبرناها أنه ذاب في الغرام فداها فماذا سوف يحدث؟! أمن أجل سواد عينيها يـذهب حياته هـدراً :)أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَـذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) ؟!.. ولكن تعال إلي شاعر بغداد وهو يمـدح الحي القيوم ـ جل في علاه ـ بيتين من أعذب الشعر يقول :

إليك وإلا لا تشد الركائب *** ومنك وإلا فالمؤمل خائب
وفيك وإلا فالغرام مضيع *** وعنك وإلا فالمحدث كاذب

أحســنت لا فض فــوك!.. وهكــذا فليكن الإبــداع واللمــوع والتفـوق ، وأما شـاعر صـنعاء فيشـاركه في الثنـاء علي الله ولكن مع الاعتذار من التقصير يقول:

سبحان من لو سجدنا بالجباة علي *** حرارة الجمر والمحمي من الإبر
لم نبلغ العشر من مقدار نعمته *** ولا العشير ولا عشراً من العشر

العيون التي في طرفها حور

للموت ألف طريقة، فمنهم من يمـوت سـاجداً لربـه، ومنهم من يمـوت بحد السـيف في سـبيل اللـه، ومنهم من يمـوت تخمة من كـثرة ما أكـل، ومنهم من شـرب عصـيراً فشـرق فمات، ومنهم من ضاع له مائة دينار فمات غبناً ، ومنهم من بشر بجائزة فمات فرحـاً ، أو جرير فيخبرنا لنكـون علي بينة بسبب موته وأمثاله فيقول:

إن العيون التي في طرفها حـور *** قتلننا ثم يحيين قـــتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به *** وهن اضعف خلق الله إنسانا

ياله من قتل غير جميل، ومن موت غير شـريف ، ومن وفـاة رخيصــة، ولكن اســمع إلي بطل مجاهد صــنديد شـهيد وهو يقول:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد *** لنفسي حياة مثل أن أتقدما
فليس علي الأعقاب تدمي كلومنا *** ولكن علي أقدامنا نقطر الدما!

شـــكراً لهـــذه النفـــوس الحية والأرواح الخالـــدة، ما أجلها وأشـرفها يـوم عـرفت كيف تمـوت ميتة شـريفة بالـذبح في سبيل الله، لا ميتة رخيصة من أجل العيون السود
وقد قال الصحابي الجليل طلحه بن عبد الله يوم أحد:
اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضي
جزاءك الله خيراً يا طلحة علي هـذا الحب الصـادق ، وهنئيـاً لك ذلك المصير المبارك.
وهذا شاعر يشاركه هذه الأمنية الغالية فيقول:

لا تمتني يـا رب إلا بســيف *** صارم الحد مصلت في سبيلك

فيقتل شهيداً في سبيل العيون السود

ابن عباس يتصدق بعينه

وهذا ابن عبـاس ترجمـان القـرآن وبحر الأمة وحبرهـا، يبكي من خشــية الله حــتى تــذهب عينــاه فيعزيه أحد الشــامتين فينشد ابن عباس:

إن يأخذ الله من عيني نورهــما *** ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي عوج *** وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وفي الحـــديث القدسي ((من ابتليته بحبيبتيه (أي بعينيـــه) فصـبر ، عوضـته منهما الجنـة))... وهـذا سـعيد بن المسـيب إمام التابعين أبكاه الحب الصادق حـتى ذهبت عينه لمرضـاة ربه، وكذلك يزيد بن هارون المحدث المشهور فإنه عمي من كثرة البكاء، فقيل له : أين العينان الجميلتان ؟ قال أذهبها ـــ والله ـ بكاء الأسحار
أما أحد الشـــعراء فقد بكي علي محبوبته حـــتى ذهبت منه عيناه فقال:

أعيناي كفــا عن فوادي فإنه *** من الظلم سعي اثنين في قتل واحد
لقد عميت عيناي من كثرة البكا *** لفــرقـة حب أو لتذكـار فاقد

ويشاركه المتنبي هذا البكاء فيقول:

قد كنت أشفق من دمعي علي بصري *** فـاليوم كل عـزيز بعدكم هـانا

فابن عباس ذهب بصـره لمرضـاة الله فثوابه الجنة ، وهـؤلاء ذهبت أبصارهم لفلانة فثوابهم الإفلاس والندم والحسرة.

يا لهف نفسي علي ملل

وخــرج شــاعر من المدينة وراء قافلة وهو يبكي فســئل عن ذلك؟ قال معهم جارية أخذت قلبي وذهبت فكان كلما نزلــوا منزلاً سأل عنها، فإذا ارتحلوا ارتحل معهم وأخذ ينشد:

وقالوا صحيرات اليمام وقدموا *** ركائبهم من آخر الليل في الثقل
وردن علي ماء العشيرة والهوى *** علي ملل يا لهف نفسي علي ملل

لكن جعفر الطيار ابن عم المحتار، يخــرج مســرعاً إلي مؤتة لــترفع روحه هنــاك: (وَعَجِلْتُ إِلَيْـكَ رَبِّ لِتَرْضَـى) ، فيتقــدم ويقاتل ليضــحي بنفسه فــداء لدينه ويلقي المنية باســما وهو ينشد:

يا حبذا الجنة واقــترابهـــا
طيـــبة وبارد شـــرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابهـــــا
علي إن لاقيتها ضرابها

فتقطع يـــداه وتطـــير روحه إلي الجنة ويبدله الله بجنـــاحين يطير بهما في الجنة حيث شاء)وَلا تَحْسَـبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُـوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ).

جعل المناسك أرض محبوبته

وهـــذا محب مفتـــون غلب عليه العشق والغـــرام والتوله بمحبوبته حـــتى رفض الخـــروج إلي مكة لأداء الحج وقـــال معتذراً

حجي إلي الباب القديم، وكعبتي *** الباب الجديد، وبالمصلي الموقف
والله لو علم الحــجيج وقوفنا *** في زندروز عشية ما وقـفوا
أو شاهدوا جسر الحسين وشعبه *** بين المحصب والنقا ما عرفوا

أما علي بن الحسين زين العابدين فإنه لما حج أراد أن يلــبي ؟ فارتعـــدت فرائصه وارتعش جســـمه واحمر لونه فقيل لـه:مالـك؟ قـال أخشى إن قلت : لبيك اللهم لبيك أن يقـال لي: لبيك ولا سعديك!.
وهذا من خشـية وعظيم تقـواه وقـوة ورعه وخوفه من ربـه، وعند الحـاكم في المسـتدرك أن الرسـول صـلي الله عليه وسلم لما استلم الحجر الأسود بكي بكاء شـديداً ، ثم ألتفت فرأي عمر فقال: هنا تكسب العبرات يا عمر

وأي جهاد غيرهن أريد؟

دعي جميل بثينة للجهـاد في سـبيل الله ليكـون كفارةله عل الله أن يرزقه شـهادة ينـال بها رضـوان اللـه، فاعتـذر وهو يقول:

يقولون جــاهد يا جميل بغزوة *** وأي جـهاد غـيرهـن أريد؟

وفي الحــديث : ((ومن كــانت هجرته إلي دنيا يصــيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلي ما هاجر إليه)).
ولكن الطرماح بن حكيم الشاعر المجاهد الصادق يــدعو ربه أن يرزقه الشهادة ويقول :

أيارب شهيداً لا تجعل وفاتي إن أتت *** علي شرجع يعلو بحسن المطارف
ولكن شهيداً ثاوياً في عصابة *** يصابون في فج من الأرض خائف

فجميل يري أن أعظم الجهاد حب النساء،والطرماح يـري أن أعظم من ذلك رضوان رب الأرض والسـماء !...) مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ)
ألا بلغ الله الحمي من يريده *** وبلغ أطراف الحمي من يريدها

في القلب لا في الرأس

ويزعجنا إيليا أبو ماضي بصياحه ونحيبه وعويله وصراخه وهو ينادي:

يا من لقلب كلــما ضــمـدته *** ملأ الجراح مواجعي وحواسي
لو أنه في الرأس كنت ضــمــدته *** لكنه في القلب لا في الرأس

وما الجــرح؟.. أظنه جــرح الهــوي والغي الــذي شــرحه في طلاسمه (جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت)..

محب يتوب

يا أخي لغــني أنك تبت ، وإلي ربك أنبت، فســرني والله ذلك سرور من وجد المفقود وبشر بالمولود؛ لأننا كنا نفقــدك في صفوف الطائعين، والآن وجدت ، وكنا نسأل عنك في موكب الضــــالين وتجـــددت ، فو الله لو كتبنا برمــــوش العين علي صحائف الخدود تحية لقدومك لما انصفنا ، ولو رسمنا بنيــاط القلـــــوب علي ســــويدائها ثناءنا عليك لما بالغنا ، احبك الله فاجتباك وآثرك فاصطفاك ، كنت عبد بعد التوبة قريباً مطيعاً محبوبــــاً، يا أهلاً بمن فـــــرح الله بتوبتـــــه، يا مرحبـــــاً بمن استبشــــرت الملائكة بعودتـــه، يا ســـهلاً بم تفتحت الســـماء لدعائــه، يا حنانــاً لمن ذابت المهج لبكائــه، يا قــرة عين لمن أنصت عـــــالم الغيب لندائــــه، ســــبحان من ابتلاك بالــــذنب ليكسرك كســرة فيها حســرة، ثم جــبرك بالتوبة لتــذوق لــذة الأوبة ويغسل عنك أدران الحوبة، ركبت إلي الخطايا المطايا فأمهلك وما أهلكك براً وكرماً ، ثم جــذبك إليه بحيل التوفيق وأركبك ســفينة النجــاة في البحر العميــق، تبــارك من ألبسك تاج التوبة، وزينك بوشاح المحبة، وجملك برداء القبول، دمعك علي ما مضي يســأل في ديــوان الرضي ، وتأســفك علي ما فات منشور الحسنات وســلم الــدرجات، كلما قلت من ذنبك

آه، قيل لك : طبت يا (أواه) فقد قلبك الله، كلما صـحت من خطايــاك ونحت ، نــوديت نجــوت وأفلت ، كلما ذرفت منك دمعة أوقدت لك في عليين شمعة ، كلما ضج فـؤادك شـاكياً باكيـاً قيل لـك: دمت طـاهراً زاكيـاً، أدمت الخطيئة ــ قبل ــ أبيك آدم فنـــودي: يا آدم لو لم تكن التوبة أحب شئ إلينا ما ابتلينا بالذنب أعز الناس علينا:

لعل عتبك محـــمود عواقبه *** فربما صحت الأجسام بالعلل

لما تـــرك الـــذنب زال عنه الكـــرب ، وذهب عنه الخطب، ورضي عنه الرب)ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى):

سـامح الدمـــع إن أبان جوانا *** نحن لا نكتم الدموع الغزارا

بكي داود حتى بكت معه أحبابه، وتفجع حـتى رق له أصـحابه فنودي:
رجوعك إلينا أحب من إدلالك علينــــا، دمعة علي مصـــــابك أشـرف من ألف ركعة مع إعجابـك، فيا أيها التـائب لو تـدري بمـدلول حـديث : ((لله أفـرح بتوبة عبـده)) لهمت طربـاً ، ولتقطعت من الشوق إربـاً إرابـاً ، ولو علمت بـتزين الجنـان لقدومك لجعلت أفـراح أعيـادك مكـان همومك ، ولو اطلعت فرأيت مقعدك في الفـردوس الأعلى، والملائكة ينـادون أهلاً وسـهلاً ، والحـور يقلن وأغلي وأعلي لـذبت سـروراً ولملئت حبـــوراً ، ولصـــرت من البهجة مبهـــوراً ، وفي ظلال الإنس مغمـــوراً ، أيها التـــائب أبشر بخـــير يـــوم طلعت عليك فيه الشمس ، فـأنت ابن اليـوم لا غد ولا أمس، طـاب ممشـاك، وأفلح وجهـك، وقـرت عينـك، وسـرت روحـك، وعلا قـدرك، ورفع ذكرك ، هنئياً لك بنداء:) يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْـرَفُوا) ، إذا وصـلك الخطـاب، وعـرفت الجـواب النـبي صـلي الله عليه وسـلم ورفع لك الحجـاب، فسـبحان من جـبر كسر من زل، ودمل جرح من ضل ، وراش جنـاح من ذل، اقـترفوا ، وعلي

الهلاك اشــرفوا، فــاعترفوا، فبشــروا بـــ (يَا عِبَــادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا) ، أخطؤوا ،فأسفوا، وندموا علي ما أسلفوا فوعــدوا بـ) بَادِيَ الَّذِينَ أَسْـرَفُوا) للمعاصي في أول العمر أزلفـوا، ثم عادوا إلي باب أرحم الراحمين ووقفوا فسمعوا:
)قُــلْ يَا عِبَــادِيَ الَّذِينَ أَسْــرَفُوا) .. يتقلب التــائب في الليل الـداجي يبكي ويناجي فيقـال لـه: ما عليك أطلعنا فسـترنا ، وعرفنا فعذرنا ، وعلمنا فحملنا، وقدرنا فغفرنا!.
قال التـائب : يا رب أذنبت قـال: وأنا غفـرت ، قـال التـائب: ذنــوبي تجل عن الإحصــاء ، قـــال الـــرب: ولو بلغت عنـــان السماء، قال التائب: يا رب أهلكتني السيئات ، قال التـائب : يا رب تسامحنا علي ما فات أما تحاسبنا علي تلك الزلات؟
فقال الرب: بل أبدل السيئات حسنات، قال التائب: لا أكــرم منك أحد ، قال الله أنا الصمد!..
جاء مذنب إلي عالم فقـال: غـرقت في الـذنوب، فقـال لـه: الآن أدركتك رحمته علام الغيوب ، وقـال أحد السـلف: والله لو خيرت أن يحاسـبني ربي أو يحاسـبني أبى وأمي لاخـترت حساب ربي لأنه أرحم الراحمين!.
أيها التائب أبشر فإن تـذكرك لـذنبك طاعة منك لربـك، كلما احــترق قلبك بنــار الــدم ، ذابت جبــال الخطايا والمم، كلما أطار الهم نومك وكدر الحزن يومك غسـلت سـيئاتك ومحيت خطيئاتك ،التائب حبيب الله وصديق عبـاده، وضـيف رحمتـه، ووافد جنتـه، ومسـتحق كرامتـه، وحـائر قربـه، التـائب يحبه المرسلون لأنه صدق قيلهم، واتبع ســبيلهم ، واقتفي دليلهم، والتــائب تحبه الملائكــة؛ لأنهم يســتغفرون له ، ويفرحـــون بطاعته، ويحبون توبته، والتائب يحبه المؤمنـون؛ لأنه أعـانهم علي نفسه، وجاهد مهم شـيطانه، وارضي إلههم وإلهـه، دمع التائب طاهر، لو وقعت منه قطرة علي جليد الخطايا لـذاب، ولو ســقط علي ركــام المعاصي لغــاب ، دمع التــائب علي صدق صاحبه برهان، وعلي صحة توبته سلطان:

إذا اشتبكت دموع في خدود *** تبين من بكي ممن تباكي

أيها التـائب الآن عـرفت فـالزم،ووصـلت فاسـلم ، وحصـلت فاغنم، فتقدم ولا تحجم، البـاب أمامك مفتـوح، والعطـاء من ربك ممنوح، والكرم منه يغدو ويروح:

والله والله ما أبكي علي طلل *** أقفى وأقفر من أهل وسكان
ولا بكيت علي واد الغضا سحراً *** أو خيمة بين روض الطلح والبان
وما ذرفت دموعي في الهوي سفهاً *** لفيء خل ولا تذكار جيران
لكن لذكر ذنوب ليتها محيت *** بعفو رب وغفران وإحسان

قل للمخطئين ومن في المعاصي تورطــوا، لأنكم خلقتم من الطين أبشروا برحمة ارحم الـراحمين ، من الـذي دعـاه فما لباه؟ من الذي سأله فما أعطاه ؟ من الـذي اسـتجار به فما حمـاه؟ من الـذي اسـتنجد به فما كفـاه؟ من الـذي أوى إليه فما آواه؟.. أيها التـائب ارتكبت امـرأة ذنبـاً، فأسـقت كلبـا، فأرضت رباً، وكشفت خطباً، وأزالت كربـاً، قـالوا في الأخبـار وقــديم الآثــار: وقعت حمامة في ملامة فــأكثرت الندامــة، فبكت علي الغصــون بــدمع هتــون ، ونــاحت في شــجون وأنشدت:

ربي إذا ما القلب أفحم بالرضا *** وبكي لفرط ذنوبه وأتاكا
هل تعف عنه وهلا تزيل همومه *** إذ لا إله لذي الوجود سواكا

فهتف بها هـاتف يقـول: من عصـانا أمهلنـاه، ومن تـاب إلينا قبلناه ومن أطاعنا قربناه.. يا أيها التائب أما تـري فيل أبرهة وجهـوه إلي الـبيت العـتيق فـأبي، وضـربوه فبكي خجلاً من صاحب البيت!.

والله لو قطعـوا رأسي لأجلـكم *** لسار نحو هواكم في الهوي رأسي

ولو هوت قدمي ممشى لغيركم *** لقلت بيني وما البين من بأس

نظر رجل في المـــــــــرأة وهو في الأربعين وقد عصى رب العــالمين، فــرأي الشــيب قد غطي عارضــيه فصــاح: أواه، واأسفاه، يا رباه!، ثم ذهب إلي عالم فقال له:

أما تري الشيب في هذا السواد شطا *** ونحن في ليل لهو نركب الغلطا
أراه ينهـــرني عـمـا ألم بـه *** كـأنما هو سيف بالهلاك سطـا؟!

فقـال العـالم: إن كـان صـبح الشـباب عـذرك ، فـإن غـروب الشيب أنذرك ، فتب إليه واشك الحال عليه، فـإذا لقيته يـوم الدين ،وقال لك: عبدي ما أغرك بي؟ فقل برك بي .
بكي عمر بن عبد العزيز ثم قـــــــــال : اللهم إنك قلت:) وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَـيْءٍ)، وأنا شـيء فلتسـعني رحمتك .
وخرج أحد العباد يصلي بالناس الاستسـقاء وهو شـيخ كبـير ، فكشف رأسه فـــإذا هو أبيض كـــالقطن، وقبض لحيته وبكي وقال:

سبحـــان من يعفو ونفهو دائماً *** ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطي الذي يخــطي ولا يمنعه *** جلالة عن العطى لذي الخطا

فنزل الغيث .

براهين الحب

الأبطال يقدمون الرؤوس والنفوس لتلك المعالي والضروس ، فيا عابد الـــدراهم والفلـــوس، عش في عبـــوس، ودم في نكوس.

قال نور الدين محمود: ((اللهم احشرني في حواصل الطـير وبطون السباع، فرزق الشهادة. وقال ابن الطرماح: اللهم لا تجعل وفـاتي علي سـرير في الـدار، ولكن اقتلـني بسـيف الكفار. وقال طلحة يوم أحـد: اللهم خذ من دمي هـذا اليـوم حـتى ترضـي. وقـال عبد الله بن جحش: اللهم إنك تعلم أني أحبـك.. وقـال إعـرابي رب أرسل علي في المعركة سـهماً يقتلني.. وصح في الحديث : ((من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات علي فراشه))، وسأل ابن رواحه ربه أن يطعن في سبيله طعنة تصل الكبد !..

يا ليت أنك قد حـضرت نزالنا *** ورأيت كيف تقطع الأعناق
كأس المنايا بيننا نحـــسو به *** حب المهـــيمن كله ترياق
صارت كأغماد السيوف دورنا *** والرمح في أحشائنا خفاف
متضرجين دماً فلو أبصرتنــا *** أنسـاك ما قلد أنشد العشاق

طعن الإمـام المحـدث النابلسي بـالخنجر في سـبيل اللــه، فكلما طعن طعنة قـال: الله الله الله !، فمـات وهو يقــول الله الله !.. قـال أهل السـير نـزف دمـه، فكتب علي الأرض الله الله الله ، فالله أعلم ، والعهدة علي الرواة:

إذا قتـلوا صحت بحق دماهــم *** وكانت قديماً من مناياهم القتل
تدوس الخيول الصافنات رؤوسهم *** غريبون لمال لديهم ولا أهل
تكسرت الأسياف يوم نزالهم *** وفلت رماح الموت وانقطع النبل

تضحية برجال لا بجمال !

وفي عالم التضحية يتقدم عضد الدولة الملك المشهور بــذبح ثلاثة ملــوك من الكفــار في عيد الأضــحى المبــارك ويهنئه الشاعر فيقول:

صل ياذا العــلا لـربك وأنحـر *** كل ضد وشانئ لك أبتر
أنت أعلي من أن تكون ذوي السؤدد *** تيجانهم أمامك تنثــر
كلما خر سـاجــدا لك رأس *** منهم قال سيفك: الله أكبر !

وهذا مثل أضحية الأمير خالد القسري لما صـعد المنـبر يـوم عيد الأضحى ، فخطب الناس وقال أيها النـاس: ضـحوا تقبل أضـحيتكم ، فـإني مضح بالجعد بن درهم،إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، يقول ابن القيم:

ولذاك ضحي خـالد بالجـعـد *** يوم ذبائح القـــربـان
إذ قال إبراهيم ليس خليلــه *** كـلا ولا مـوسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة *** لله درك من أخي قربـــان

(يحبهم ويحبونهم)

(يحبهم) !.. هذا عجيب، لأنه غني عنهم، وهم فقراء إليه، ولا يعتمد عليهم، ويعتمــدون عليه ، ولا يطلب شــيئاً منهم، وهم يطلبونه في كل شئ .
وعجيب أن يحبهم وهم مخلوقـــون ، وهو الـــذي خلـــق، ومرزوقون وهو الذي رزق.
(ويحبونـــه) .. ليس بعجيب، فقد صـــورهم وهم أجنة ، ثم أخرجهم من بطـون أمهـاتهم وله المنة ، ثم هـداهم بالكتـاب والسنة.
ويحبونه؛ لأنه أعطاهم القلوب، والأسماع ، والأبصار ، وسـخر لهم الشــمس والقمر والنهــار، وحمــاهم من الأخطــار في القفار والبحار.
ولو قــال: يحبهم، وســكت لتــوهم منهم الجفــاء، ولو قــال: يحبونـه، وسـكت، لقيل ليس لهم عنـده اختفـاء، فلما قـال: (يحبهم ويحبونه)، تم الوداد والصفاء، وظهر الوفاق والوفاء.

ضحايا الحب .. شعراً

الحب في لغة الـهوي حرفان *** لكنه يوم النوى لغــتان
لغة القلوب ولا يفك رموزها *** إلا فؤاد دائم الخفقان
متوهد بهليب ذكري لو هوت *** في البحر ظل البحر في هيجان
ومضرج بدم الشهادة معلناً *** أسماء من ذبحوا علي القربان
ذابت حشاشة ورق خطابه *** فتجاوبت لحنينه العينان

بعثت له بالدمع ألف رسالة *** مظروفة بكمائم الأجفان
فإذا قرأت حروفها في ليلة *** أيقنت أن الحب شئ ثان
الحب ليس قصيدة عربية *** محبوكة الأطراف والأوزان
الحب ليس رواية منسوجة *** للعرض والأعلام والإعلان
الحب ليس تهتكا وتهافتاً *** وتظاهراً بمرارة الحرمان
الحب ليس من الدعي مقالة *** منحوتة بعجائب البلدان
كلا وليست خيمة بدوية *** مضروبة الأطنان في الصوان
ما كان حباً مسرحية عابث *** أدوارها تصميك بالدوران
الحب أن يقف الفؤاد مولهاً *** أنفاسه من لاهب النيران
لو سال من جسم المحب دماؤه *** كتبت حروف الحب في الجدران!
ترمي العيون إليه وهي نواعس *** سهمين من وصل ومن هجران
فإذا التقي سهم الوصال بقلبه *** هزته ذكر ملاعب الولدان
وإذا أتي بالهجر سهم صائب *** فهو الشهيد بساحــة الميدان
وتثير أنفاس الصباح بروحه *** أشواق من رحلوا من الأوطان
فيظل في بحر التذكر باكياً *** ما عاد من صبر ومن سلوان

وإذا الصبا هبت وحل أريجها *** هجر الكرى
ومجالس الإخوان
لو مر طيف حبيبه بمنامة *** لارتاع وهو
يعد في الشجعان !
أما الضلوع فلو لمست لهيبها *** لظننتهـا
مـن لاهب النيران !
هجر الرقاد وقد تصدق بالكرى *** فكأنه يشكو
إلي الدبــران
خلعت له الجوزاء من أسمالها *** ثوب
السهاد بليلة الأحـزان
وكساه حتى الليل بردة عاشق *** تغنيه عن
خلع وعن قمصان
تلقاه مفجوعاً يقلب كفه *** متلهفاً
كـالواله الحــيران
فإذا غفا فحبيبه في جفنه *** متمثلاً في
صـورة الخجلان
وإذا صحا من يهوي غدا *** في كل ناحية
وكل زمــان
إن لاح برق قال بسمة عاشق *** أو ناح رعد
قال صوت فلان!
والصبح طلعة وجهه وجماله *** والغيث يشبه
دمع من يهواني!
ونشيد طير الروض يحيي ميتاً *** من شوقه
في سالف الأزمان
فهو المعذب ما قد راعه يحنو له *** حساده
فهو البعيد الــداني
يا لائمي في الحب ليتك ذقته *** وسقاك من
جفنيه من أسقاني!
إن كنت تعذلني فجرب ساعة *** هجر المحب
وفرقة الخلان

فلسوف تعذرني وتفقه قصتي *** وتبيت أنت مجرح الأركان
أنا ما هويت مربرباً ألحاظه *** سحر وفوق لماته خالان
ورموشه كسيوف هند اشرعت *** ضرباتها تهدي الردى لجنان
وعلي الجبين من الجمال مهابة *** وحلاوة من منطق فتان
فالنور من تلك الثنايا ذائب *** والشهد ترشف شمعة شفتان
وكلامه سحر حلال مترف *** ينسيك عذب معازف العيدان
وكلامه سحر حلال مترف *** لا يصح سامعه من الإدمان
سكر من النغم البريء وآخر *** من دفء حب إنه سكران
قالوا الثريا علقت بجبينه *** وتوضأت بضيائها كفان
ما روضة فيحاء باكر الندي *** والغيث مساها علي إبان
والمسك في أعطاف كل خميلة *** ما شئت من شيح ومن ريحان
والطل في أردانها متمارج *** لله من طل ومــن أردان
يوماً بأذكى من تضوع عطره *** كلاً ولا في الحسن يستويان
لم يسبني هذا ولم أهدي له *** حبى ولم أراهن عليه جناني
كلا وما أحللته من مهجتي *** روضاً وما اسكنته بستاني

عهد الزيانب كله أنسيته *** وذكرت كل العمر ما أنساني!
حبي لمن منح الجميل وزادني *** شرفاً وبصرني الهدي وحباني
حبي لمالك مهجتي ولخالقي *** ولرازقي هو صاحب السبحان
شرفي بأرني عبده يا فرحتى *** والفخر لي بعبادة الرحمن
وعليه سار الفائزون جميعهم *** متوهجين إلي عظيم الشان
ولأجله بذلوا النفوس وعلقت *** تلك الجماجم والتقي الجمعان
سالت علي حد السيوف دماؤهم *** وسعوا دامي الملابس قاني
ومقطع الأوصال يسحب جسمه *** فوق اللظي، يشوي علي الصوان
ومبعثر الأشلاء لو جمعته *** ألفيته بحواصل الغربـــان !
قتلوا لأجل محبهم وحبيبهم *** وسواهمو لمحبـــة النسوان!
فاعرف(ضحايا الحب) وافعل فعلهم *** إن كان ذاك الفعل في إمكان
فإذا جبنت من القتال وخفت من *** وهج السيوف وزحمة الشجعان
وخشيت من وخز الرماح ولم تطق *** ضرب الردى من فارس طعان
وبخلت بالنفس النفيسة موقناً *** أن العلا حرمت علي الكسلان
فاهجر فراشك والمنام مهللاً *** يوم الاذان يضج في الآذان

واحضر إلي الصف المقدم ضارعاً *** متملقاً للواحـــد الديان
واسكب دموعاً لا تصان لموقف *** عند العظيم مصور الأكوان
واهتف بصوت خافت متخشع *** متصدع لعجائب القــرآن
ومعفراً منك الجبين ومعلناً *** ندمـاً بنطق مقصر خجلان
فإذا أبيت ولم تطق هذا ولم *** تقدر عليه لسطوة الشيطان
فتمن موتاً عاجلاً وارحل فما *** أقسى البقاء لمفلس خسران!